نظرية الإسلام السياسية

ابو الأعلى المودودي

دار الفكر



المقدمة

هــــذه الرسالة محاضرة ألقاها الأستاذ السيد أبو الأعلى المودودي بمدينة لاهور في اكتوبر ١٩٣٩ .

ألقيت هذه المحاضرة في زمان التبس فيه الأمر على الناشئة المثقفة ، وكادت تكون في حيرة من أمرها من جراء النزاع والصراع الشديد بين النظريتين : نظرية القومية الهندية الجارفة التي كان يدعو إليها المؤتمر الوطني الهندي (Indian National Congress) ونظرية القومية الاسلامية المتطرفة التي لا تفرق بين الاسلام الحقيقي والاسلام الجغرافي (ان صح التعبير) والتي كانت تقوم بالدعوة لها الرابطة الاسلامية (Muslim League) فكان من تأثير هذه المحاضرة أن انكشف وجه الحق والصواب في شأن النظرية السياسية الاسلامية وعلم الجميع ما يدعو إليه الاسلام من غاية سامية ، وتبين لهم الفرق بين نظرية الاسلام السياسية والنعرات الوطنية والقومية الزائفة ، وأصبحوا على حذر من

دعاة النظريات الباطلة المعارضة للاسلام وتعاليمه .

ألقيت هذه المحاضرة سنة ١٩٣٩ ، فطبعت منها عشرات الألوف من النسخ باللغة الاردية،وترجمت الى الانكليزيةوكثير من اللغاتالهندية،وظهرتالترجمة العربية لأولمرة سنة ١٩٤٦ في لاهور ، فتلقفتها الدوائر الاسلامية في بلاد العرب بالقبول مما شجعنا على مواصلة العمل بتعريب هـــذه السلسلة من رسائل الدعوة التي ألفها الأستاذ المودودي ونخبة من زملائه .

ثم ظهرت طبعتها الثانية في القاهرة في سنة١٩٥٠ م وها هي ذي طبعتها الثالثة تتحلى بالطبع في دمشق بعد شيء من التنقيح والتهذيب .

محمد عاصم الحداد

تمهيد

«الاسلام نظام ديمقراطي» كلمة كثيراً ما نسمعها اليوم في الأندية السياسية والمحافل العلمية ، وهي لا تزال تعاد وتكرر منذ أواخر القرن الماضي ، ولكن الذين ينطقون بها ويلهجون بذكرها قلما يوجد فيهم من درس الاسلام دراسة علمية وأنعم النظر في تعاليمه واجتهد أن يتفطن إلى أوضاعه السياسية ،ووقف شيئاً من جهوده لمعرفة مقام الديمقراطية في الاسلام ، والاطلاع على أوضاعها وأشكالها والفرق بينها وبين الديمقراطية الغربية السائدة في العالم اليوم .

ومن أجل ذلك ترى بعضهم ينظر إلى « نظام الجماعة في الاسلام»إلى عدة من أشكاله الظاهرة،فيلصق به اسم الديمقراطية وأما الأكثرون ، فلمرض في نفوسهم وضعف في عقليتهم يودون أن يثبتوا في الاسلام كلما يرونه قد راج في أسواق العالم المتحضر ،

وبالأخص في الأمم المتغلبة عليهم ، زاعمين أن ذلك خدمة جليلة للدين القيم ،فكأن الاسلام في أعينهم ولد يتيم ساقط لا يعيش إلا إذا جعل تحت رعاية رجل ذي جاه ونفوذ،أو هم يخافون أن لا تكون لهم عزة من حيث كونهم مسلمين،ولا ينالون من الشرف شيئاً إلا إذا أخرجوا للناس مبادىء وأصولاً من دينهم مثل مبادىء النظم الاجتماعية النافقة في عصرهم ،ومن نتائج هذه العقلية المريضة أنه لما راجت في الناس « الشيوعية » رواجها ، قامت طائفة منا معشر المسلمين ينادون في الناس، أن ليست الشيوعية إلا طبعة جديدة للاسلام ، وحينما سمعوا بالدكتاتورية أخذوا يصيحون بطاعة الأمير ،ويدعون بدعايتها معلنين ان نظام الاسلام الاجتماعي كله قائم على الدكتاتورية . وجملة القول أن نظرية الاسلام السياسية أصبحت اليوم لغزاً من الألغاز ، وخليطاً من أجزاء متناقضة يستخرج منها للناس ما راق لديهم ، ونفق في سوقهم.

فالحاجة ماسة الآن إلى أن ندقق في المسألة ونكشف الغطاء عن وجه «نظرية الاسلام السياسية» رجاء أن ينقشع بذلك هذا الظلام الفكري الضارب أطنابه على المجتمع ،وتُلجَم بذلك أفواه من أعلنوا سفهاً « ان الاسلام ما جاء للمجتمع الانساني بنظام

اجتماعي ولا سياسي أصلًا » فنخرج بذلك نوراً للذين يتسكعون في ظلمات العصر حائرين لا يهتدون ، وهم اليوم في أشد الحاجة إلى مثل هذا النور ، وإن كانوا لا يشعرون بحاجتهم إليه .

أساس النظريات الاسلامية كلها

والذي ينبغي أن نعرفه قبل كل شيء ولا نغفل عنه أبداً ، أن الاسلام ليس بمجموعة من الأفكار المبعثرة والطرق المتفرقة للعمل حشدت فيها من هنا وهناك أشياء لا صلة لبعضها بالبعض الآخر ، بل هو نظام جامع محكم أسس على مبادىء حكيمة متقنة، وأركانه الكبيرة المهمة إلى الجزئيات الصغيرة الدقيقة كلها ترتبط بتلك المبادىء ارتباطاً منطقياً ، وكل ما وضع فيه للحياة الانسانية لمختلف شعبها من النظم ، إنما قد أخذ روحه واقتبس جوهره من تلك الأصول الأولية، ومن هذه المبادىء والأصول تخرج الحياة الاسلامية بمختلف فروعها، كما ترون في الشجرة أن البذر يكوّن الجذر ، والجذر يكوّن الجذع ، والجذع يكوّن الأغصان ، والأغصان تكون الأوراق ، حتى تكون الشجرة باسقة ممتدة ، ولكن مع امتدادها وبسوقها تظل كل ورقة منها ترتبط بجذرها ارتباطاً وثيقاً ، فكذلك ان أردت معرفة أية

شعبة من شعب الحياة الاسلامية معرفة صحيحة صادقة ، فلا محيد لك من أن ترجع إلى أصلها، فانك لن تتمكن من الدخول إليها من غير ذلك الباب، ولن تعرف حقيقتها وماهية أمرها إلا بالامعان في أصولها وقواعدها .

المهمة التي قام بها الأنبياء عليهم السلام

يعلم كل منا ولو علماً اجمالياً أن الاسلام انما هو المهمة التي قام بها الرسل عليهم السلام ، ولم تكن رسالة خاصة بالنبي الأمي العربي ﷺ ، وانما كانت مهمة جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه منذ أقدم عصور التاريخ الانساني، كلهم يدعون الناس إلى الاسلام ، إلى توحيد الله عز وجل وإلى عبادته وحده، هذا ما يعرفه الناس اجمالياً ، كما قلنا آنفاً .

ولكن يجمل بنا في هذا المقام أن نكشف قناع الاجمال عن وجه المسألة ونسبر غورها ، حتى نعرف ما كان يريده الأنبياء دعاة الاسلام بتوحيد الإله، وما معنى عبادة الواحد الأحد وحده؟ وماذا كان وراء قولهم : « مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ »؟ وما بال من مضوا من الامم كلما جاءهم رسول من عند الله يدعوهم إلى

عبادة الله الواحد واجتناب الطاغوت ، انقضوا عليه ، وكادوا يكونون عليه لبدا ؟ فإن كان الأنبياء قد أرادوا بقولهم لهم : « اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرُهُ » أن يسجدوا لله الواحد في معابدهم ، وأن يكونوا أحراراً في شؤونهم وأمور مملكتهم إذا خرجوا من المعابد ، يفعلون ما يشاؤون ويطيعون من يريدون من الملوك والممالك ، فإن كانوا قد أرادوا ذلك -كما يظن الناس اليوم- فما بال الحكومات وولاتهم ؟ أتراهم قد أصيبوا في عقولهم أن يمنعوا رعاياهم الوفية المطيعة عن إتيان هذه الفروض والمناسك، ويتدخلوا في أداء مثل هاتيك الشعائر التي لا تضر بصالحهم ؟ فعلينا الآن ان نكتشف السبب الحقيقي الذي قام لأجله النزاع بين رسل الله الأكرمين والأمم الطاغية في أمر الله تعالى شأنه وتباركت أسماؤه ، فإن الحقيقة لا تنجلي بمظهرها التام إلا بعد إماطة اللثام عن وجه هذه المسألة .

إن القرآن قد بيّن في مواضع كثيرة أن الكفار والمشركين الذين كانوا في نزاع مستمر مع الأنبياء لم يكونوا من المنكرين لوجود الله، بل كانوا يعترفون له بخلق السماوات والأرض وبخلق أنفسهم ، وبأنه هو الذي يدبر الأمور ، وهو الذي ينزل الغيث

ويرسل الرياح بُشرىً بين يدي رحمته ، وبيده الشمس والقمر، وبيده السماوات والأرض ومن فيهن كما قال الله عز وجل :

« قُلْ لِمَنِ الأرْضُ وَمَنْ فيها إنْ كُنْتُمْ تعلمونَ ، سيَقُولونَ للهِ ، قُلْ أفلا تذكّرُونْ ؟ قُلْ مَنْ رَبُّ السمّواتِ السّبْعِ وربُّ العَرْشِ العظيم ، سيَقُولونَ للهِ ، قُلْ أفلا تتّقونَ ، قُلْ مَنْ بيَدِهِ ملكوتُ كُلِّ شيءٍ وَهوَ يُجيرُ ولا يُجارُ عليه إنْ كُنْتُمْ تعلمُون ، سيَقُولون للهِ ، قُلْ فأنّى تُسحَروُنَ » .

(المؤمنون : الآيات ٨٤ - ٨٩)

وقال تعالى : « وَلئن سَألتَهُمْ مَنْ خلقَ السمّواتِ والأرْضَ وسخّرَ الشّمسَ والقمرَ ليَقُوُلنّ اللهُ فأنّى يُؤْفكُونَ . ولئنْ سألتَهُمْ مَنْ نزّلَ مِنَ السّماء ماءً فأحيا بهِ الأرْضَ مِنْ بعدِ موْتِها ليَقُوُلنّ اللهُ » .

(العنكبوت : الآيات ٦١ ، ٦٣)

وقال تعالى : « ولئنْ سألتهُمْ مَنْ خلَقهُمْ ليقُوُلنّ اللهُ فأنى يؤْفكُونَ » . (الزخرف الآية ٨٦)

يتبين من هذه الآيات أنه لم يكن بينهم خلاف في وجود الله وفي أنه خلق الخلق وبيده ملكوت كل شيء ، فمن الظاهر ان الرسل ما جاؤوهم ليدعوهم إلى تلك العقيدة التي كانوا يعتقدونها ويعترفون بها ، فلم كانت بعثتهم ؟ وعلى أي شيء قام النزاع بينهم وبين من أرسلوا إليهم من الامم ؟

يوضح لنا القرآن أن الرسل كانوا يقولون في دعوتهم لهم : ان الذي خلق السماء والأرض وخلقكم إنما هو ربكم وإلهكم فلا تجعلوا إلهاً وربّاً من دونه ، ولا تجعلوا له أنداداً ، ولكنهم لم يكونوا مستعدين لقبوله .

فقل لي بالله ما الذي منعهم أن يتقبلوه بقبول حسن وأي ضرر كان لهم فيه ؟ وما معنى الإله وما هو الرب والإله؟ وما الذي جعل الانبياء مُصرين على ان الله هو الرب والاله ؟ وما الذي جعل من أرسلوا إليهم يناوئونهم بمجرد ما سمعوا بدعوتهم ؟

الاله :

يعلم كل منا أن الإله معناه (المعبود)،والمعبود أهل العبادة، والعبادة ليست بمعنى الشعائر والمناسك فحسب، بل العبد الذي

يعيش عيشة العبودية فحياته كلها عبادة. فالقيام بالخدمة والركوع والسجود والجِد والسعي في اطاعته والقيام بكل ما يأمر وينهى، والتذلل لقوته ، والانقياد لجبروته ، والإطاعة في كل ما سن له من قانون ، والمناصبة لكل ما يكون مخالفاً لأمره ، وتضحية النفس ، وبذل المهج في سبيل رضاه ...

هذه كلها عبادة وهذا هو المعنى الحقيقي للعبادة ، والمعبود في الحقيقة هو الذي يعبده المرء مثل هذه العبادة .

الرب :

أما الرب فهو بمعنى المربي . ومن المعلوم أن المربي يُطاع أمره ، فلأجل هذه المناسبة جاء بمعنى المالك والسيد المطاع كما يقال « رب المال » و «رب الدار» . فكل ما جعله المرء رازقاً مربياً ، يرتجى منه العطف ويأمل منه الامن والرقي والجاه ، ويخشى أن سخطه يجلب عليه الضرر وينغص الحياة ويحسبه مالكاً وسيداً يطيعه فيما يأمره به ولا يعصي له أمراً فهو ربه .

أو بعد ما عرفت من معنى الكلمتين واستأنست بمغزاهما ، تحسب أنه يوجد شيء في ما خلق الله من السموات والارض، يقوم

في وجه الانسان ويقول له ... « إني إلهك وربك فاعبدني » ؟ أيدعي ذلك الحجر أو الشجر أو الحيوان أو الشمس أو القمر أو غيرهما من الاجرام النيرات في السماء ؟ لا ، لا ، والله لا يقوم في وجه الانسان شيء من هذه يدعي الألوهية والربوبية ، بل إنما الإنسان وحده هو الذي يبعثه حب السلطة ، وهوى الأثرة ،على أن يجعل نفسه إلهاً لغيره من أبناء نوعه يستعبدهم وينفذ فيهم أمره ، ويقهرهم على الانقياد والطاعة، ويجعلهم آلة لتحقيق هواه ، فلم يعرف الانسان شيئاً ألذّ وأحلى من تأليه نفسه ، فكل من نال شيئاً من المال ،أو رزق شيئاً من الدهاء والنبوغ، تسول له نفسه أن يستكبر ويتعدى حدوده الفطرية ويرقى عرش الألوهية ، ويستعبد كل من حوله من الناس المستضعفين والفقراء الذين لا يجدون للقيام في وجهه سبيلاً .

فالذين يريدون أن يتسنّموا ذروة الألوهية ويتطلعون إليها هم على نوعين ويسلكان في هذا الامر طريقين مختلفين . فالنوع الاول هو الذي عنده جرأة شديدة ، أو يتهيأ له من الوسائل ما يراه كافياً لتحقيق هواه الكاذب من غير استحياء . ولنضرب لك فرعون مثلاً ، الذي اغتر بما آتاه الله من جلال الملك وأبهة

السلطان ، وبما كان عنده من القوة وعتاد الحرب ، فنادى في المصريين :

« أنا رَبُّكُمُ الأعلى » ، و « ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَـهٍ غَيرِي » .

وقد بعث الله نبيه موسى إليه وإلى قومه، فدعاه إلى الصراط المستقيم وقال له :

« هَل لك إلى أن تزَكّى وأهدِيَكَ إلى ربِّكَ فتَخْشى فأراهُ الآيَةَ الكُبرى » .

وطالبه بأن يُخلِيَ سبيل بني اسرائيل ويطلق سراحهم ، فأجابه فرعون بقوله :

« لَئِنِ اتّخَذْتَ إلَـهاً غَيري لأجْعلنّكَ منَ المسْجونينَ » .

وكذلك الملك الذي حاج سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام والذي ذكره الله في كتابه ، فقال عز من قائل :

« ألَم تَرَ إلى الذي حاجّ إبراهِيمَ في ربِّهِ أنْ آتاهُ اللهُ المُلكَ إذ قال إبراهيمُ رَبّيَ الذي يُحْيي وَيُميتُ قال أنا أحْيي وَأميتُ. قال إبراهيمُ فانّ اللهَ يأتِي بالشّمْسِ مِنَ المَشرِقِ

فأتِ بها مِنَ المَغْرِبِ فبُهِتَ الذي كفَرَ . واللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظالِمِينَ » . (البقرة : ٢٥٨)

فما الذي جعله مبهوتاً ؟ ولماذا أخذته الحيرة والدهشة بغتة ؟ لأنه لم يكن منكراً لله ، بل كان يعتقد أن الله هو سيد الكون وبيده مقاليد السماوات والأرض وهو الذي بأمره تطلع الشمس وتغرب ، فالنزاع لم يكن في أنه : مَنْ رب السماوات والأرض؟ ومَنْ بيده ملكوت كل شيء ؟ بل كان جداله في : من هو مالك رقاب الناس عامة والذين منهم في بابل خاصة ؟ فلم يكن من دعواه أنه هو « الله » بل كان يقول إني رب هذه البلاد وأهلها ، ولم يقل بذلك إلا لأنه كان مالكاً لرقاب الناس آخذاً زمام الملك بيده ، يتصرف فيه كيف يشاء ، ويسوق الشعب بعصا سلطانه حسب ما تملي عليه أهواؤه ، وكان يجد في نفسه قدرة على أن يضرب عنق من يشاء ويطلق سراح من يشاء من رعيته ، وقد كان يشعر بأن قوله حكم لا مَرَدّ له وأمره نافذ في البلاد لا يعترض دونه معترض ، ولا يتعرض له أحد باستنكار. ولأجل ذلك طلب من إبراهيم الخليل أن يعترف له بالربوبية وينقاد لأمره ويعبده كما يعبده الناس . ولكن لما قال له إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه : «إني لا أعرف لي رباً إلا رب السموات

والأرض وهو رب العالمين ، ولا أعبد إلا إياه ،وهو الذي تعبده الشمس في مطلعها ومغربها » بهت وتحير ، وما تحير إلا لأنه لم يدر كيف يساير مثل هذا الرجل في الحجة ويقارعه في الكلام.

فهذه الألوهية التي ادعاها فرعون ونمرود ، ليست بقاصرة عليهما ، بل نجد الملوك في كل أرض وفي كل زمان ينتحلون تلك الألوهية ويدعونها، فهذه بلاد الفرس كانت تخاطب ملوكها بلفظ « خُدّا » و « خُدّاوند » ، وكان الناس يقومون لهم بجميع ما يكون من آداب العبودية ، والحال أنه لم يكن فيهم من يحسب الملك « خُدّا أي خُدّا إِنكان » يعني الله، ولا كان الملوك أنفسهم يدّعون ذلك ، وكذلك ترى البيوتات الحاكمة في الهند كانت تنتمي بنسبها إلى الالهة « ديوتا » ـ فهناك أسرتان تعرفان حتى اليوم (سورج بنسي وجندر بنسي) أي ذرية الشمس وذرية القمر . وكان أهل الهند يخاطبون ملوكهم بكلمة « أن داتا » أي الرازق، ويسجدون لهم ، والحال أنهم كانوا يرون من ملوكهم أنهم هم « برميشور » أي الملك وكذلك الملوك أنفسهم لم يكونوا يدعون ذلك ، وما زال الناس في العصور الغابرة سائرين على هذه الخطة ،

وكذلك حالهم اليوم في معظم أقطار العالم ، فإنه لا يزال الملوك يخاطبون في بعض البلاد بكلمات تماثل كلمتي الإله والرب في المعنى وأما البلاد التي لا تستعمل فيها الألفاظ الصريحة بهذا المعنى ، فهناك تجد هذه الروح سارية في النفوس ، فإنه ليس من الضروري لهذا النوع من دعوى الألوهية أن ينادي الرجل في الناس بأني : « إلهكم وربكم » لا ، بل كل من يملك على الناس قلوبهم وأجسامهم ويتحكم في دمائهم وأموالهم بما يشاء ، ويسوقهم بعصا سلطانه المطلق والسيادة المستبدة التي سلطها على الناس فرعون ونمرود لعهدهما ، فهو يدعي الألوهية والربوبية حقيقة ومعنى ، وإن لم يتفوه بألفاظها ، والذين هم يطيعونه وينقادون لأمثاله يسلمون له بالألوهية والربوبية ، وإن لم تجر هذه الكلمات على ألسنتهم ، وبالجملة إن نوعاً من البشر يدعي الالوهية والربوبية مباشرة من غير استخفاء ، وهناك نوع آخر لم يتهيأ له من القوة والوسائل المادية ما يؤهله للقيام بهذه الدعوى الخطيرة ، واخضاع النـاس لارادته ، فهم يتسلحون بأسلحة من الشعوذة والدجل يسحرون بها قلوب الناس وألبابهم فيعمدون إلى روح أو الهة (ديوتا) أو وثن أو قبر أو كوكب أو شجرة فيجعلونها إلهاً وينادون في

الناس أن هذا إلهكم وله قدرة أن ينفعكم أو يضركم، وهو يقضي حاجاتكم ، وهو وليكم وناصركم ، ولئن لم ترضوه ليأخذنكم بأنواع من القحط والمرض والآلام ،وإن أرضيتموه وطلبتم منه العفو فهو ينصركم ويأخذ بأيديكم ، ولكن لا يعلم طرق إرضائه وجلب عنايته أحد سوانا ،فاجعلونا وسيلة للوصول إليه وعظمونا وأرضونا ، واجعلوا في أيدينا كل ما تملكونه من النفس والمال والعرض ، فكثير من حمقى النـــاس يقعون في شركهم الذي ينصبونه لهم،وبمثل هذه الصورة ،وبواسطة هاتيك الآلهة الكاذبة الباطلة تقوم دعائم ألوهية هؤلاء المشعوذين من سدنة المعابـد وخدمهم ، ويتحكمون في مقادير الناس بمـــا يشاؤون وتشاء شهواتهم الدنيئة . ومن هذا النوع الأخير رجال يحترفون لهذا الغرض الكهانة والتنجيم واستخراج الفـــأل وكتابة التعاويذ والرقى . ومنهم من يعترفون بأنهم عباد الله مثل سائر الناس ، ولكنهم يرون أنه لا يمكن الوصول إليه ، تباركت أسماؤه ، مباشرة من دون وساطة ، وأنهم هم الذين يُتقرب بهم إلى الله ، وأن كل مايؤدي الناس من آداب العبوديةونسكها ، إنما يؤدى بواسطتهم ، وكذلك طقوسهم وشعائرهم التي يقومون بها في حياتهم ، كالها بأيديهم وبوسيلتهم . ومنهم من يستبدون بكتاب

الله ويعدون أنفسهم حملة له من دون غيرهم ، فيحرمون العامة علمه وينفذون في الناس أحكامهم، يحلون ما يشاؤون ،ويحرمون ما يريدون ، زاعمين أن الله ينطق بألسنتهم ، وبمثل هذه الحيلة يقهرون الناس على أن يتبعوهم ويتخذوهم أرباباً من دون الله ، وهذا هو الأصل للبرهمية والبابوبية السائدة في مختلف أنحـــاء المعمورة إلى يومنا هذا بصور مختلفة وبأسماء متنوعة ، وهي التي اتخذت منها بعض الشعوب والقبائل والبيوتات آلة وحيدة لسيادتهم وسلطتهم على الناس .

وإذا نظرت إلى المجتمع الانساني من هذه الوجهة ، استيقنت نفسك أن منبع الشرور والفساد الحقيقي إنما هو « ألوهية الناس على الناس » ، إما مباشرة وإما بواسطة ، وهذه هي النظرية المشؤومة التي تولد الشر منها أول أمره ، وهي التي لا تزال تنفجر منها عيون الشر اليوم في كل مكان .

أما الله فإنه عليم بأسرار الفطرة البشرية ، فلا تخفى عليه خافية من شرور النفوس وأهوائها . ولكن التجارب التاريخية طوال القرون الماضية المتطاولة ، قد جعلتنا أيضاً على بينة من لأمر ،

وبينت لنا أن الانسان لا يمكنه أن يعيش من غير أن يتخذ لنفسه إلهاً ورباً فلا يستغني البشر عن الإله والرب . وإن لم يرض بالله رباً وإلهاً ، فحينذاك يتسلط عليه جنود مجندة من الأرباب والآلهة الباطلة .

وإن كنت في ريب مما قلت آنفاً ، فانظر إلى الحزب الشيوعي في روسيا ، أليس الذين بيدهم زمام مكتبه السياسي Political Bureau أرباباً من دون الله آلهة لأهل البلاد ؟ وأليس « ستالين » كبيرهم وبطلهم ، ربهم الأعلى ؟ وهل في بلاد الروس من قرية أو مزرعة (Farm) تخلو من صورة إلهالروس وطاغيتهم هذا ؟ وهل أتاك حديث القوم كيف افتتحوا النظام الشيوعي في القطعة التي استولوا عليها في بولونيا؟ لقد بعثوا ألوفاً من النسخ لصورة « ستالين » فبثت في كل قرية ليعرفوا أولاً وقبل كل شيء ، إلههم العظيم وربهم الكبير ، ثم يدخلون في الدين البلشفي ، فعلام نال مثل هذه الأهمية رجل مثلنا ، خلق من ذكر وأنثى ؟ ولأي سبب يسلط رجل وإن كان يمثل جماعة (Community) على رؤوس ملايين من البشر وأرواحهم بحيث تجري عظمته وكبرياؤه في عروقهم وشرايينهم ؟ أليس هذا من أساليب الاستبداد الشخصي ؟ ومن هناك نعرف كيف

يصير البشر إلهاً لبشر مثله ، وبمثل هذه الطرق تتولد الفرعونية والنمروذية والمزارية والقيصرية وتتأصل جذورها في كل زمان.

وهكذا الحال في «ايطاليا» نجد المجلس الفاشي الكبير بجمع الآلهة وناديهم ، و « موسوليني » إلههم الاكبر . وكذلك ترى في « ألمانيا » زعماء الحزب النازي ، كأنهم آلهة من دون الله ، وعلى رأسهم الإله الاكبر « هتلر » ولا تحسبن « انكلترا » الديموقراطية خلواً من أولئك الآلهة الباطلة على تشدقها بالديموقراطية (Democraty) ، أو لا ترى نظار مصرفهم الكبير (Bank Of England) وعدداً من الطبقة العليا من أصحاب الثراء وأرباب السياسة كيف أخضعوا رقاب الجمهور لمطامعهم الاشعبية ? وهكذا شأن أمريكا فإن الماليين منهم ـ لا يتجاوزون عدد الانامل ـ قد استبدوا بموارد الثراء بأسرها وتحكموا في نفوس الامة وأموالها ودمائها . فأصبحوا بفضل ثروتهم آلهة للأمة الامريكية .

وبالجملة إنك حيثما وجهت نظرك وجدت أن أمة اتخذت نفسها إلهاً لقوم آخرين ، أو طبقة سلطت ألوهيتها على طبقات أخرى،

أو حزباً سياسياً استولى على مناصب الألوهية والربوبية واستبد بها أو تجد مسيطراً (ديكتاتوراً) ينادي الملأ « ما علمت لكم من إله غيري » فلم يبق البشر في أي بقعة من الأرض من غير إله .

ثم انظر ماذا يكون من ثمرات ألوهية الناس على الناس وما يترتب عليها من عواقب وشرور. فمثلها في ذلك كمثل سفيه يناط به رياسة الشرطة أو رجل أمي سيء الخلق يتبوأ كرسي رئيس الوزراء . فإن نشوة الألوهية بطبيعتها تخرج المرء من حدوده ، وإن لم يخرج وبقي معتدلاً في فكره، فهل للبشر ذلك العلم المحيط وذلك العدل والتعفف والتزهد في مطامع الدنيا والتجرد عن الشهوات التي يحتاج إليها في الالوهية؟ ومن ثم نرى أن كل مكان قامت فيه ألوهية الناس على الناس ، قد فشا فيه الظلم والجور والاستئثار الممقوت والتكبر في أرض الله بغير الحق ، وحرمت الروح البشرية حريتها الفطرية ؛ وغلبت العقول البشرية على أمرها وغُلّت طبائعها الفطرية وخصائصها الفكرية بأنواع من الاغلال ، ومنعت الشخصية الإنسانية كمال نشوئها وارتقائها فما أصدق ما قال سيد البشر سيدنا ومولانا النبي

العربي ﷺ « قال الله عز وجل إني خلقت عبادي حنفاء ؟ فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم من دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم » [1].

فقد تبين لك أن ألوهية الناس على الناس إنما هي أصل كل المصائب والدمار ، وهي أصل جميع ما مني به البشر اليوم من البؤس والشقاء ، وهـــذا هو الداء الذي أفسد أخلاق البشر وروحانيتهم وقواهم العلمية والفكرية ، وأكل مدنية الناس وحياتهم الاجتماعية وسياستهم ومعايشهم وبلفظة أخرى إن هذا الداء قد أكل إنسانية البشر كما تأكل المرء حمّى الدّق . أكل الإنسانية منذ أقدم العصور في التاريخ الإنساني ولا يزال يأكلها إلى عصرنا هذا . فليس لهذا الداء من دواء إلا أن يقوم الإنسان فيكفر بالطواغيت جميعاً ، ويؤمن بالله العزيز الذي لا إله إلا هو ، ويخصه ــ تقدست أسماؤه ــ بالألوهية والربوبية ، فهـــذا هو الطريق الوحيد لنجاة البشر من براثن ذئاب الإنسانية وقطاع سبيل البشرية . فإنه لن يتخلص من كثير من أولئك الطواغيت والآلهة الباطلة إلا بالإيمان بالله العزيز الحميد ؛ وإن ادعى الإلحاد وتشدق بالدهرية .

---

(١) صحيح مسلم . مشكاة المصابيح : باب الانذار والتحذير .

مهمة الأنبياء الحقيقية :

فهذا هو الصلاح الحقيقي الذي ظهر في المجتمع الإنساني على أيدي رُسُل الله الكرام ، وهذه هي النظرية الصالحة التي بعث الأنبياء بها إلى الناس ؛ فإنهم قد أرسلوا لتحطيم سلاسل العبودية البشرية ، عبودية الآلهة الكاذبة والاستثمار الجائر .

قد بعثوا ليخففوا من غلواء من جاوزوا حـــدود البشرية ويفثأوا حميهم حتى يعيشوا في الحدود التي قـــدرها الله لهم ؛ ويأخذوا بيد الذين ظلمهم البشر أمثالهم وأرهقوهم بصنوف من العذاب ، فيرفعوا مستواهم ثم يجمعهم كلهم في كلمة واحدة وتحت نظام للحياة الإنسانية عادل ، ولا يكون فيه أحد عبداً لاحد، بل يكونون جميعاً عباداً لله وحده، فجميع رسل الله إلى الخلق من أبي البشر سيدنا آدم عليه السلام إلى سيدهم وخاتمهم مولانا النبيّ الامي ّ ﷺ ، كانت رسالتهم إلى الخلق واحدة ، مقالة وجيزة، كما جاء بلسان الوحي: «يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مالَكُمْ مِنْ إلَـهٍ غَيْرُهُ » وهذه هي المقالة التي قالها نوح وجاء بها

هُود ودعا إليها صالح وشعيب [1] صلوات الله عليهم أجمعين ، وبذلك نادى وإليها دعا سيدنا ومولانا الرسول النبيّ الامي صلوات الله عليه وسلامه كما ورد في التنزيل :

« إنما أنا مُنذِرٌ وما مِنْ إلَـهٍ إلّا اللهُ الواحِدُ القَهّارُ رَبُّ السّموات والأرضِ وما بينَهُما العَزيزُ الغفّارُ » .
(سورة ص : ٦٥ ، ٦٦)

« إنّ رَبَّكُمُ اللهُ الذي خلقَ السّمواتِ والارْضَ والشّمْسَ والقَمَرَ والنُّجُومَ مُسَخّراتٍ بِأمْرِهِ . ألا له الخَلْقُ والأمرُ » . (الاعراف : ٥٤)

ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إلَـهَ إلّا هُوَ خالِقُ كُلِّ شيْءٍ فاعبُدُوهُ وهُوَ على كُلِّ شيْءٍ وَكيلٌ »
(الانعام : ١٠٢)

« وَما أُمِرُوا إلّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لهُ الدِّينَ ».
(البينة : ٥)

« تعالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ ألا نعْبُدَ

(١) راجع : القرآن الكريم سورة هود :الآيات ٢٦، ٥٠، ٦١، ٨٤

إلا اللهَ ولا نُشْرِكَ بِهِ شَيئاً ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ » (آل عمران : ٦٤) .

فهذا هو النداء الرباني الذي حرر العقول والافكار وكل ما أوتي البشر من القوى العقلية والمادية من أغلال العبودية التي كانوا يرسفون فيها ووضع عنهم إصرهم الذي كانوا يرزحون تحته.

فهذا الحق كان صَكّاً (Charter) [١] للحرية البشرية الحقيقية ، وبذلك أثنى الله على رسوله محمد ﷺ في كتابه :

«وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصرَهُمْ وَالأغلالَ التي كانتْ عَلَيْهِم».
« الاعراف : ١٥٧ »

النظرية السياسية في الإسلام

ومبدؤها الاساسي

هده العقيدة هي روح ذلك النظام الذي أسس بنيانه الانبياء عليهم السلام ومناط أمره وقطبه الذي تدور رحاه حوله وهذا هو

---

(١) اقترح علينا هذه الترجمة لكلمة (Charter) الدكتور مأمون الحموي . راجع مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٣٤ : ٤) .

الاساس الذي ارتكزت عليه دعامة النظرية السياسية في الاسلام أن تنزع جميع سلطات (Powers) الامر والتشريع من أيدي البشر منفردين ومجتمعين ولا يؤذن لاحد منهم أن ينفذ أمره في بشر مثله فيطيعوه ، أو ليسن قانوناً لهم فينقادوا له ويتبعوه فإن ذلك أمر مختص بالله وحده لا يشاركه فيه أحد غيره ، كما قال هو في كتابه : ـ

«إنِ الحُكْمُ إلّا لِلهِ أَمرَ ألاّ تَعبُدوا إلاّ إيّاه . ذلك الدّينُ القيّمُ » (يوسف : ٤٠ »

« يَقولونَ هَلْ لنا مِنْ الامْرِ مِنْ شَيْءٍ . قُلْ إنَّ الامْرَ كُلَّهُ لِلهِ » « آل عمران : ١٥٤ »

«ولا تقولوا لِما تَصِفُ ألسنَتُكُمُ الكَذِبَ هذا حَلالٌ وهذا حَرامٌ » « النحل : ١٦٦ »

« ومَنْ لمْ يَحكُمْ بِما أنزلَ اللهُ فأولئِكَ هُمُ الظالِمونَ » (المائدة : ٤٥)

فهذه الآيات تصرح أن الحاكمية (Sovereignty) لله وحده وبيده التشريع وليس لاحد ـ وإن كان نبياً ـ أن يأمر

وينهى من غير أن يكون له سلطان من الله . والنبي أيضاً لا يتبع إلا ما يوحى إليه :

« إنْ أتَّبِعُ إلاَّ ما يُوحى إليَّ » .

وما وجب على النـــاس طاعةُ النبي إلا لأنه لا يأتيهم إلا بالأحكام الإلهية .

قال الله عز وجل :

« وما أرْسَلنا مِنْ رَسُولٍ إلاَّ ليطاعَ بإذْنِ اللهِ » .
« النساء : ٦٤ »

« أولئِكَ الَّذينَ آتيْناهُمْ الكِتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّة »
(الأنعام : ٨٩ »

«ما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتابَ وَالحُكْمَ والنُّبُوَّةَ ثُمَّ يقولَ للنَّاسِ كُونوا عِباداً لي مِنْ دُونِ الله ولكِنْ كُونوا رَبَّانيِّينَ بما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتابَ وبما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ » . « آل عمران : ٧٩ »

فالخصائص الأولية للدولة (state) الإسلامية ، كما يظهر من الآيات التي ذكرناها ، ثلاث :

١ – ليس لفرد أو أسرة أو طبقـــة أو حزب أو لسائر القاطنين في الدولة نصيب من الحاكمية فان الحاكم الحقيقي هو الله والسلطة الحقيقية مختصة بذاته تعالى وحده والذين من دونه في هذه المعمورة إنما هم رعايا في سلطانه العظيم .

٢ – ليس لاحـــد من دون الله شيء من أمر التشريع والمسلمون جميعاً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً لا يستطيعون أن يشرعوا قانوناً ولا يقدرون أن يغيروا شيئاً مما شرع الله لهم .

٣ – إن الدولة الإسلامية لا يؤسس بنيانهـــا إلا على ذلك القانون المشرع الذي جاء به النبي من عند ربه مهما تغيرت الظروف والاحوال والحكومات (Governement) التي بيدها زمام هذه الدولة (state) لا تستحق طاعـة الناس إلا من حيث أنها تحكم بما أنزل الله وتنفذ أمره تعالى في خلقه .

وضعية الدولة الاسلامية :

كل من نظر الى هذه الخصائص التي ذكرناها آنفاً علم لاول وهلة أنها ليست ديمقراطية (Democracy) فان الديمقراطية عبارة عن منهاج للحكم ، تكون السلطة فيه للشعب جميعاً ، فلا تغير فيه

القوانين ولا تبدل إلا برأي الجمهور ولا تسن إلا حسب ماتوحي إليهم عقولهم . فلا يتغير فيه من القانون إلا ما ارتضته أنفسهم وكل ما لم تسوغه عقولهم يضرب به عرض الحائط ويخرج من الدستور .

هذه خصائص الديموقراطية وأنت ترى أنها ليست من الإسلام في شيء . فلا يصح إطلاق كلمة الديمقراطية على نظام الدولة الإسلامية ، بل أصدق منها تعبيراً كلمة الحكومة الإلهية أو الثيقراطية (Theo - cracy) ولكن الثيقراطية الاوربية تختلف عنها الحكومة الالهية (الثيقراطية الاسلامية) اختلافاً كلياً فان أوروبا لم تعرف منها إلا التي تقوم فيها طبقة من السدنة (Priest Class) مخصوصة ، يشرعون للناس قانوناً من عند أنفسهم [1] حسب ما شاءت أهواؤهم وأغراضهم ، ويسلطون

---

(١) لم يكن عند البابوات القساوسة المسيحيين شيء من الشريعة الا مواعظ خلقية مأثورة عن المسيح عليه السلام ولأجل ذلك كانوا يشرعون القوانين حسب ما تقتضيه شهوات أنفسهم ثم ينفذونها في البلاد قائلين انها من عند الله ، كما ورد في التنزيل « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله » (البقرة : ٧٩)

ألوهيتهم على عامة أهل البلاد متسترين وراء القانون الالهي ، فما أجدر مثل هذه الحكومة أن تسمى بالحكومة الشيطانية منها بالحكومة الالهية .

وأما الثيقراطية التي جاء بها الاسلام فلا تستبد بأمرها طبقة من السدنة أو المشايخ،بل هي التي تكون في أيدي المسلمين عامة وهم الذين يتولون أمرها والقيام بشؤونها وفق ماورد به كتاب الله وسنة رسوله . ولئن سمحتم لي بابتداع مصطلح جديد لآثرت كلمة « الثيقراطية الديموقراطية » (Theo - democracy) أو « الحكومة الإلهية الديموقراطية » لهذا الطراز من نظم الحكم لأنه قد خول فيها للمسلمين حاكمية شعبية مقيدة .

(Limited popular Sovereignty)

وذلك تحت سلطة الله القاهرة (parmouncy) وحكمه الذي لا يغلب ، ولا تتألف السلطة التنفيذية (Executive) إلا بآراء المسلمين ، وبيدهم يكون عزلها من منصبها ، وكذلك جميع الشئون التي لا يوجد عنها في الشريعة حكم صريح لا يقطع فيها بشيء إلا بإجماع المسلمين .

وكلمامست الحاجة الى إيضاح قانون أو شرح نص من نصوص الشرع، لا يقوم ببيانه طبقة أو أسرة مخصوصة فحسب، بل يتولى شرحه وبيانه كل من بلغ درجة الاجتهاد من عامة المسلمين .

فمن هذه الوجهة يعد الحكم الاسلامي ديمقراطياً Democracy إلا أنــــه – كما تقدم ذكره من قبل – إذا وجـــــد نص من أمراء المسلمين أو مجتهد أو عالم من علمائهم ولا لمجلس تشريعي (Legislature) لهم، بل ولا لجميع المسلمين في العالم أن يصلحوا أو يغيروا منه كلمة واحدة ومن هذه الجهة يصح عليها إطلاق كلمة « الثيقراطية » .

دفع شبهة :

ولرجل أن يقف في هذا المقـام ويقول إن الاسلام قد قيد الديموقراطية بأنواع من القيود والحدود ، فمعناه أن الاسلام قد سلب الانسان حرية الرأي والفكر ، والحال أنكم تزعمون – كما ادعيتم فيما تقدم – أن ألوهية الله الواحد تخول الناس حرية القول والأفكار والقوى البشرية جمعاء. فالجواب : ان الله لم يخص أمر

التشريع بذاته ليسلب الناس حريتهم الفطرية ، بل خصه بنفسه ضناًبه وصوناً له من اعتداء المعتدين ،ولئلا يضل الناس فيسلكوا طرائق قدداً ويقعوا في المهالك .

وهذه الديموقراطية الغربية المموهة التي يتشدقون بها. وبأن فيها حاكمية أو سيادة شعبية (Popular Sovereignty) ، إذا سبرت غورها وأنعمت النظر في دخائلها علمت أن الذين تتكون منهم لا يسن كلهم القوانين ، ولا ينفذونها جميعاً ، بل يضطرون الى تفويض سلطانهم الى رجال يختـــارونهم من بينهم ليشرعوا قوانين ينفذونها ، ولأجل هذا الغرض يضعون نظاماً للانتخاب خاصاً ، ولا ينجح فيه إلا من يغري الناس ويستولي على عقولهم وألبابهم بماله وعلمه ودهائه ورعايته الكاذبة ، ثم ينفذون ذلك القانون الجائر على العامة بتلك القوة نفسها التي خولتهم إياها العامة ، ثم يصبح هؤلاء الناجحون بأصوات العامة آلهة لهم ، يشرعون ما يشاؤون من القوانين لا لمصالح الجمهور بل لمنافعهم الشخصية ومصالح طبقاتهم المخصوصة التي ينتمون إليها ، فهذا هو الداء العضال الذي أصيبت به أمريكا وانجلترا وسائر البلاد التي تدعي اليوم بأنها جنة للديموقراطية ومأوى لها .

وبقطع النظر عن هاتيك المفاسد ، إن سلمنا أن القوانين تشرع في تلك البلاد عن رضى العامة ، فقد أثبتت لنا التجارب أن العامة لا يستطيعون أن يعرفوا مصالحهم ، فان البشر قد خلقهم الله على ضعف فطري كامن في نفوسهم ؛ فيرون في أكثر أمور الحياة بعض جانب من الحقيقة . ولا يرون بعضه الآخر ، ولا يكون حكمهم (Judgement) مرتكزاً على نقطة العدل عموماً ، وهم في الغالب يكونون مغلوبين على أمرهم من العواطف والميول فيرفضونها لأجل غلبة العواطف والشهوات على أنفسهم ، وعندي لذلك أمثلة كثيرة ، ولكن حذراً من إطالة الكلام ، أقتصر على مثال واحد وهو «قانون منع الخمر الأمريكي» . (Prohibition Law) فان الأمة الأمريكية قد تحقق لها من الوجهتين العقلية والعلمية أن الخمر ضارة بالصحة ، ومفسدة للقوى الفكرية ؛ وهدامة لبناء المدنية الانسانية ... فنظراً الى هذه الحقائق واطمئناناً لصحتها رضي الرأي العام الأمريكي أن يُسن قانون منع الخمر ، فقررت الحكومة هذا القانون بآراء العامة وأصواتهم ، ولكن لما أنفذته فيهم لم يلبث الذين وضع القانون بآرائهم وأصواتهم أن خرجوا عليه ؛ وبدؤوا يعيثون في الأرض فساداً بتعاطي الخمر ، والابداع

في صناعتها على استخفاء ، والتفنن في أخبث أنواعها أكثر ممـــا كانوا يتعاطونها من قبل،وكثرت فيهم المنكرات والفواحش الى حد بالغ . حتى اضطروا الى ان يقوموا بنقض ما عاهدوا أنفسهم عليه وبتحليل ما كانوا قد حرموه ، فعلام أحلت أم الخبائث . أو قد عادت الضارة عندهم نافعة بدليل علمي أو عقلي ؟ لا ، بل لأن أمارتهم بالسوء قد استولت على نفوسهم ، وأسلموا لهاقيادهم فكأن كل واحد منهم قد اتخذ إلهه هواه ، فأصروا في عبودية إلههم الباطل على نسخ القانون الذي وضعوه بعد مـــا اعترفوا بصحته اعترافاً عقلياً وعلمياً .

هذه تجربة قد جربتها دولة متمدينة بمرأى منا ومسمع، وفي التاريخ تجارب أخرى كثيرة توضح لنا أن الانسان لا يستطيع أن يكون شارعاً لنفسه بنفسه ، فانه ان نجا من شرور عبودية الآلهة الكاذبة ، فلا يمكن تخلصه من تعبد شهواتـــه الجاهلية والاستسلام لنزعات الشيطان الكامن في نفسه ، فالبشر في أشد الحاجة الى أن تجد حريته بحدود ملائمة للفطرة الانسانية وذلك لصالحه وصالح المجتمع الذي يعيش فيه .

ونظراً لهذا الغرض الأسمى قيد الله تعالى الحرية الانسانية بقيود تسمى في لغة الاسلام « حدود الله » وهذه الحدود تشتمل على عدد من الأصول والمبادىء والأحكام القطعية، لتكون الحياة الانسانية قائمة على الحق والعدل لا تحيد عنه ولا تتزحزح ، فهذه أسوار للحرية منيعة لا يجوز لأحد أن يتجاوزها . نعم يجوز لهم أن يضعوا قوانين فرعية ، أو أنظمة ولوائح (Regulations) ضمن حدودها لما يعرض لهم من الحوادث .

أما إذا تعدوها فلابد أن يختل نظام المجتمع البشري اختلالاً تامـــاً .

المقصود من وراء حدود الله :

وإني أضرب لك مثلًا الحياة الاقتصادية ، فان الله تعالى قد ذكر لها في كتابه حدوداً ، وهي إثبات حق الملكية الفردية والأمر بأداء الزكاة، وتحريم الربا، والميسر ، والاحتكار وقانون الارث ، وتقييد جمع المال وإنفاقه بقيود معلومة ، فان راعى الانسان هذه الحدود وحافظ عليها ، وسير حياته الاقتصادية في ضمن دائرتها بقيت حريته الشخصية (Personal Liberty)سالمة

غير ضائعة ولا مسلوبة،هذا من جانب،وفي جانب آخر لاتتولد من تسلطـطبقةعلىأخرى تلك الحال الشنيعة التي مبدؤهاالرأسمالية Capitalism الغاشمة ومنتهاها سيطرة ديكتاتورية العمال .

وكذلك ننظر الى الحياة المنزلية (Family Life) فانها ان تركـفيها حبل المرأة على غاربها أصبحت الدار ملأى بالجور والظلم، وجعلت الشياطين تبيض فيهاوتفرخ، ولكن الله قيدها بالحجاب الشرعي وقوامية الرجل، وبَيَّنَ حقوق الرجل والمرأةوالأولاد وأحكام الطلاق والخلع ، وحكم تعدُّد الزوجات تحت شروط ، وحدود الزنا والقذف . وبَيَّن الله كل ذلك ليحد حياة البيت بحدود حكيمة ملائمة للفطرة البشرية،ان تمسكـبها الانسان وعمل بها وجعل نظام الأسرة قائماً في ضمن هذه القيود والحدود أصبح البيت جنة فيها هناء وسرور ، ولن يتدفق فيها سيل حرية النساء الشيطانية التي تهدد اليوم الامن والسلام العالمي ، وتنذر المدنية الانسانية بالانقضاء .

كذلك قد بين الله في كتابه حدوداً للتمدن الانساني وحياة البشر الاجتماعية كالقصاص في القتل وقطع اليد في السرقة وحرمة

الخمر وحدود الستر للعورة وغيرهما من الاصول الثابتة الراسخة ، وذلك ليوصد باب الشر والفساد إيصاداً كاملًا الى الابد .

ومن دواعي الاسف أني لا أجد متسعاً من الوقت لافصّل القول في حدود الله وألقي عليكم بياناً جامعاً . يعلم منه مالكل حدٍّ من حدود الله من أهمية عظيمة وتأثير كبير في إقامة الحياة الانسانية على الحق والنّصفة . ولكن الذي أريد أن أبيّن لكم الآن ولو إجمالاً : أن الله سبحانه قد رزق الانسان بهذه الحدود نظاماً مستقلًا ودستوراً Constitution جامعاً لا يقبل من التبديل والتغيير شيئاً ، ولا يسلب الانسان حريته ، ولا يعطل قواه الفكرية والعقلية ، بل ينهج للنوع البشري طريقاً مستبيناً ، وصراطاً مستقيماً ، لئلا يضل فيقع في مهاوي الحياة لجهله وضعفه المفطور عليه ، ولئلا يضيع قوته وسعيه في طريق الباطل ، وليسلك سبيل الفلاح الحقيقي سلوكاً مستقيماً غير ضال ولا زال ، فمثله كمثل الطرق في الجبل ، فان اتفق لك أن تصعد في الجبل ، رأيت طرقاً محفوفة بالمخاطر ، ففي جانب هوّة عميقة وفي جانب آخر صخور شماء عالية ، وكذلك رأيت حوالي هذه الطرق أسلاكاً منصوبة من الحديد ، وذلك لئلا يسقط المسافر من

الهوّة ، فهل لقائل أن يقول إن الأسلاك الحديدية نصبت لوضع العقبات في سبيل حرية ركب المسافرين ؟ لا ، إنما أقيمت ليسلموا من المهالك ، ولا يقعوا في المخاطر ، نصبت لتهديهم في مواطن زلقة ، ومواضع خطرة ، الى وجهتهم المستقيمة ، حتى يصلوا منازلهم التي قصدوها .

فهذا هو مثل الحدود الإلهية في الإسلام ، فهي تعين لسفر الحياة البشرية وجهة الحق الصحيح، وتهدي الناس في كل مفترق للطرق والمنعطفات إلى طريق الأمن والسلام، وتحولهم عن جميع المتجهات المنحرفة إلى متجه قويم .

وهذا الدستور والنظام الإلهي كما تقدم لنا القول لا يقبل شيئاً من التبديل والتغيير، فان شئت خرجت عليه وأعلنت عليه الحرب كما خرجت عليه تركيا وإيران ، ولكن ليس لك أن تحدث فيه أدنى تغيير ، فانه دستور إلهي سرمدي لا تغيير فيه ولا تبديل ، وقد كتب له أن يبقى ثابتاً واضحاً إلى يوم القيامة ، فالدولة الإسلامية عندما يؤسس بنيانها يؤسس على هذا الدستور، وما دام كتاب الله وسُنّة رسوله باقيين في العالم، فلا يمكن تحويل

مادة من قوانينه عن مكانها ، فمن كان يريد أن يعيش مسلماً فانه محتم عليه اتباعه والاستمساك به .

غاية الدولة الاسلامية

للدولة الإسلامية القائمة على أساس هذا الدستور غاية ذكرها الله تعالى في كتابه في مواضع عديدة منها قوله :

« لقدْ أرسلْنا رُسُلَنا بِالبيِّنات وأنزلنا معَهُمُ الكِتاب والميزانَ لِيَقومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ وأنزلنا الحديدَ فِيهِ بَأسٌ شَديدٌ ومَنافِعُ لِلنَّاس » . (الحديد : ٢٥)

فالمراد من الحديد في الآية هو القوة السياسية[١] . والآية قد بينت ماتبعث الرسل لأجله،وهو أن الله قد أراد ببعثهم أن يقيم في العالم نظام العدالة الاجتماعية (Social justice) على أساس ما أنزله عليهم من البينات وما أنعم عليهم في كتابه من الميزان أي نظام الحياة الانسانية العادل . وقال في موضع آخر :

---

(١) أي قوة السلطان الذي يمنع بعض الناس من بعض كما قال الامام الغزالي (م. الندوي) .

الذينَ إنْ مكّنّاهمْ في الأرض أقامُوا الصّلاة وآتَوُا الزّكاةَ وَأمَروا بِالمَعْروفِ ونَهوا عَنِ المُنْكَرِ » .

(الحج : ٤١)

وقال :

« كُنْتُمْ خيرَ أُمّةٍ أُخرِجَتْ لِلنّاسِ تأمُرونَ بِالمعْرُوف وتَنْهَونَ عَنِ المُنْكَرِ وتُؤْمِنُونَ بِاللهِ » . (آل عمران : ١١٠)

فمن تدبر هذه الآيات اتضح له أن الدولة التي يريدها القرآن ليسن لها غاية سلبية (Negative) فقط بل لها غاية إيجابيـــة (Positive) أيضاً ، أي ليس من مقاصدها المنع من عدوان الناس بعضهم على بعض وحفظ حرية الناس والدفاع عن الدولة فحسب ، بل الحق أن هدفها الأسمى هو نظام العدالة الاجتماعية الصالح الذي جاء به كتاب الله . وغايتها في ذلك النهي عن جميع أنواع المنكرات التي ندد بها الله في آياته ، واجتثاث شجرة الشر من جذورها ، وترويج الخير المرضي عند الله ، المبين في كتابه ، ففي تحقيق هذا الغرض تستعمل القوة السياسية تارة ويستفاد من منابر الدعوة والتبليغ العام تارة أخرى ، ويستخدم لذلك وسائل

التربية والتعليم طوراً ، ويستعمل لذلك الرأي العـــام والنفوذ الاجتماعي طوراً آخر ، كما تقتضيه الظروف والأحوال .

فمن الظاهر أنه لا يمكن لمثل هـذا النوع من الدولة أن تجد دائرة عملها ، لأنها دولة شاملة محيطة بالحياة الانسانية بأسرهـــا وتطبـع كل فرع من فروع الحياة الانسانية بطابـع نظريتها الخلقية الخاصة وبرنامجها الاصلاحي الخاص ، فليس لأحد أن يقوم في وجهها ويستثني أمراً من أموره قائلاً إن هذا أمر شخصي خاص لكيلا تتعرض له الدولة . وبالجملة ، إن الدولة الإسلامية تحيط بالحياة الانسانية وبكل فرع من فروع الحضارة وفق نظريتهـا الخلقية وبرنامجها الاصلاحي. فاذن هي تشبه الحكومات الفاشية والشيوعية بعض الشبه ، ولكن مع هذه الهيمنة (Lotalily) لا يوجد في الدولة الإسلامية تلك الصبغة التي اصطبغت بهـــا الحكومات المهيمنة(Lotalilarian)والاستبدادية(Authoritarian) في عصرنا هذا . فلا يوجد في الدولة الإسلاميـــة شيء من سلب الحرية الفردية، ولا أثر للسيطرة(الدكتاتورية)والزعامة المطلقة. فالاعتدال الكامل الذي يوجد في نظام الحكومة الإسلامية ، وتلك الخطوط الدقيقة التي خطتها بين الحق والباطل ، يشهدان

عند أصحاب البصيرة أن مثل هذا النظام الصالح الوسط لا يضعه إلا الله الحكيم الخبير .

الدولة الفكرية

هذا ، والأمر الثاني يبـــدو لمن أنعم النظر في دستور الدولة الإسلامية وغايته الحكيمة ووضعيّته الإصلاحية ، هو أن هذه الدولة لا يتولى أمرها إلا الذين آمنوا بهـــذا الدستور ، وجعلوه غاية حياتهم ومطمح أنظارهم،الذين لم يخضعوا لبرنامجه الإصلاحي ولم يظهروا تأييدهم لخطته العملية فحسب، بل كان الإيمان بصدق تعاليمه قد تغلغل في عروقهم وكانوا على معرفة تامة بروحه وطبيعته وما يشتمل عليه من التفاصيل والجزئيات، وما اتخذ الإسلام في ذلك حدوداً وقيوداً جغرافية أو لسانية أو عنصرية،وإنما يعرض دستوره على الناس كافة ، ويبين لهم غايته وبرنامجه الإصلاحي ، فمن قبله منهم أياً كان وإلى أي نسل أو إلى أية أرض أو أمة ينتمي فهو يصلح أن يكون عضواً في الحزب الذي أسس بنيانه لتسيير دفة هذه الدولة . وأما من لم يقبله فلا يسمح له بالتدخل في شئون الدولة أبداً وله أن يعيش في حدود الدولة كأهل الذمة (Subiect) متمتعاً بحقوق عادلة مبينة في الشريعة لأمثاله، وكذلك تكون له

عصمة من قبل الاسلام حاصلة في نفسه وماله وشرفه ، ولكن لا يكون له حظ في الحكومة في حال من الأحوال، لأن الدولة دولة حزب خاص مؤمن بعقيدة خاصة وفكرة مختصة به، وههنا أيضاً نوع من المماثلة بين الدولة الإسلامية والدولة الشيوعية ، ولكن الدولة الإسلامية بريئة كل البراءة مما تأتي به الدول الشيوعية من أعمال مخزية ضد الذين لا يوافقون على نظرياتها، فلا يوجد في الإسلام ما يوجد في الدولة الشيوعية من تسليط آرائها الاجتماعية ومناهجها العمرانية على الناس قهراً بعد التغلب والتمكن في الأرض، واستصفاء أموالهم وسفك دمائهم وتعذيبهم بعذاب من النار والحديد، أو أن يؤتى بمئات الألوف من الناس فيرمى بهم إلى سيبيريا جهنم المعمورة الأرضية . وبالجملة، كل ما أعطى الإسلام أهل الذمة من الحقوق والامتيازات في دولته ، وما خط في هذا الشأن من خطوط بين الحق والباطل والعدل والظلم ، كل من رآها واطلع على محاسنها تبين له ما يكون من التفاوت العظيم بين المصلحين الإلهيين وبين الدجالين منهم ، في أعمالهم وبرامج إصلاحهم .

نظرية الخلافة

هذا ويحسن بي أن أقول كلمة موجزة في هيئة الدولة الإسلامية

وطراز بنائها . فالحاكم الحقيقي في الإسلام إنما هو الله وحده كما تقدم الكلام عليه ، فإذا نظرت إلى هذه النظرية الأساسية وبحثت عن موقف الذين يقومون بتنفيذ القانون الإلهي في الأرض ؛ تبين لك أنه لا يكون موقفهم إلا كموقف النواب عن الحاكم الحقيقي ، فهذا هو موقف أولي الأمر في الإسلام بعينه .

قال تعالى في كتابه العزيز :

« وَعَدَ اللهُ الذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرضِ كما استَخْلَفَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » (النور : ٥٥)

فهذه الآية توضح نظرية الدولة « Theory of State » في الإسلام إيضاحاً مبيناً ، فإن الله قد بين فيها أمرين عظيمين ونكتتين أساسيتين :

فالنكتة الأولى أن الاسلام يستعمل دائماً لفظة الخلافة « Vicegerency » بدل لفظة الحاكمية « Sovereignty » وإذا كانت الحاكمية لله خاصة فكل من قام بالحكم في الأرض تحت الدستور الإسلامي يكون خليفة « Viceegerent » الحاكم الأعلى

ولا يتولى إلا ما ولاه المستخلف ـ أي الحاكم الأعلى ـ من أملاكه وعبيده نيابة عنه .

والنكتة الثانية البديعة في هذه الآية أن الله قد وعد جميع المؤمنين بالاستخلاف ؛ ولم يقل أنه يستخلف أحداً منهم ؛ فالظاهر من هذا أن المؤمنين كلهم خلفاء الله ، وهذه الخلافة التي أوتيها المؤمنون خلافة عمومية « Popular Vicegerency » لا يستبد بها فرد أو أسرة أو طبقة ، بل كل مؤمن خليفة عن الله ، وكل واحد مسئول أمام ربه من حيث كونه خليفة كما جاء في الحديث:

« كُلُّكُمْ راعٍ وَكُلُّكُم مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّته » .

وليس أحد منهم بأحط منزلة من آخر مثله في هذا الشأن من أية وجهة كانت .

الديموقراطية الاسلامية :

كل ما قدّمت آنفاً ، هو أساس الديموقراطية الاسلامية ، وإذا أنعمنا النظر في مبدأ هذه الخلافة العمومية التي جاء بها الإسلام ، ووقفنا على تفاصيلها ، ظهرت لنا النتائج الآتية :

١ ـ المجتمع الذي يكون كل عضو منه خليفة لا يتسرب إليه فساد التفريق بين الطبقات ، ولا شر الامتيازات التي تأتي من جهة الحياة الاجتماعية « Social Life » والفوارق النسبية ، ويكون أفراد هذا المجتمع سواسية ، لا يكون لأحد فضل على آخر إلا من جهة المواهب الشخصية ، والسجايا الذاتية ، وهذه هي الحقيقة التي بيّنها النبي ﷺ وأوضحها مراراً ؛ كما جاء عنه ﷺ في كلامه الجزل البليغ : « ليس لأحد فضل على أحد إلا بدين أو تقوى ، الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى » [١] .

ولما دخلت بلاد العرب كلها ـ بعد فتح مكة ـ في حوزة الدولة الاسلامية ، قال النبي ﷺ لعشيرته الذين كانوا يوم ذاك في بلاد العرب بمنزلة البراهمة في الهند :

« يامعشر قريش ! إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية

---

(١) المسند لابن حنبل رحمه الله تعالى ، ملتقى الأخبار مع نيل الأوطار (جزء ٤ ص ٣١١) .

وتعظمها بالآباء ، أيها النـــاس : كلكم من آدم وآدم من تراب ، لا فخر للأنساب ، لا فضل للعربي على العجمي ، ولا للعجمي على العربي ، « إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ » [1] .

٢ ـ وفي مثل هذا المجتمع لا تحول عقبات النسل أو الحرفة أو المنزلة في المجتمع بين الفرد أو جماعة من الأفراد وبين مواهبهم الشخصية وتنمية سجاياهم الفردية وملكاتهم المتنوعة المستودعة في نفوسهم ، بل لكل فرد من أفراد المجتمع أن يترقى إلى ما شاء الله وإلى ما آتاه الله من استعداد وقوة ؛ من غير أن يمنع الآخرين من التقدم والرقي الفطري ، وهذا ما نجده في الاسلام إلى درجة ليس وراءها مطمح لناظر ، فإن الموالي وأبناءهم قد نصبوا ولاة على الأقاليم وقواداً للعساكر ، وقد اتبع أمرهم رؤساء البيوتات الشريفة ، وعاشوا تحت ولايتهم ، طائعين غير كارهين ، وكذلك كثير ممن كان يخصف النعال أصبحوا أئمة النـــاس ، وكذلك النساجون والبزازون وغيرهم من أصحاب الحرف والمهن ، تبوؤوا مناصب الإفتاء والقضاء ، وهؤلاء كلهم يعدون اليوم من شيوخ

---

(١) الجامع للترمذي ـ مشكاة المصابيح : باب المفاخرة .

الاسلام والسلف الصالح . وقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال : « اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي »[1] .

٣ ـ وفي مثل هذا المجتمع ، لايكون لرجل أو طائفة أن تستبد بالامر أو تتسنم عرش الديكتاتورية ، لأن كل فرد من أفراد هذا المجتمع خليفة ، ولايجوز لطائفة أو فرد من أفرادها أن ينتزع حق الخلافة من جمهور المسلمين وينصب نفسه مسيطراً عليهم ، والذي يتولى هذا الأمر في الاسلام ، منزلته الحقيقية أن جمهور المسلمين أو الخلفاء ـ إن آثرنا الكلمة الاصلاحية ـ قد فوضوا خلافتهم إلى رجل منهم وجعلوها مركزة (Conentrated) في ذاته لتنفيذ الأحكام ، وتسيير دفة الأمـر بسهولة ، وذلك عن رضى منهم . واتفاق كلمتهم ، فهو مسئول عند الله في جانب ، وبجانب آخر مسئول عند عامة الخلفاء أي المسلمين الذين فوضوا إليه أمر الخلافة . فإن استبد بالأمر ونصب نفسه ديكتاتوراً مطاعاً على الإطلاق ، فهو غاصب وليس بخليفة ، لأن الديكتاتورية بحقيقتها ضد الخلافة العمومية ، ومما لا مجال فيه للريب أن الدولة

(١) الجامع الصحيح للبخاري ـ مشكاة المصابيح : باب الإمارة .

الإسلامية دولة مهيمنة أو مطلقة (Totalitarian)، محيطة بجميع فروع الحياة ونواحيها ، ولكن أساس هذه الهيمنة والإحاطة التامة (Totality) إنما هو القانون الإلهي الجامع الواسع الذي وكل إلى الحاكم المسلم تنفيذه في الناس ، فكل ماورد في الكتاب العزيز من البينات والتعاليم الشاملة لجميع نواحي حياتهم ، إنما ينفذ فيها تنفيذاً محيطاً جامعاً ، لكن الحاكم المسلم ليس له أن يتخذ خطة التقييد الاجتماعي [١] (Regimenation) من تلقاء نفسه، معرضاً عن تلك التعاليم والبينات ، فلا يجوز له أن يقهر الناس على اختيار حرفة دون أخرى ، وكذلك ليس له أن يقهرهم على اكتساب فن دون آخر ، أو تعليم أولادهم نوعاً من العلوم دون آخر، فإن الإسلام لم يخول الأمير تلك السلطة المطلقة التي استبد بها الطواغيت المسيطرون (Dictators) في روسيا وألمانيا وإيطاليا، وتمتع بها واستخدمها « أتاتورك » في تركيا .

---

(١) التقييد الاجتماعي : اصطلح عليه في البلاد التي كانت قد استبدت بأمرها الدكتاتورية كألمانيا وايطاليا ومعناه أن يقيد سكان البلاد أجمعون بقيود وأصفاد من قوانين الحكومة في جميع نواحي حياتهم الاجتماعية والاقتصادية (م . الندوي) .

وهناك نكتة أخرى مهمة ،وهي أن كل فرد من أفراد المسلمين مسئول عند الله بصفته الفردية (Personal Responsiblity) لا يشاركه فيها أحد غيره ؛ فلا بد أن يعطى كل فرد حرية تامة في حدود القانون ليختار مايشاء من خطة ، ويستعمل قوته للتبريز فيما تميل إليه نفسه من صناعة ، فإن حالت دون ذلك عقبات من قبل الأمير فهو ظلم يعاقب عليه عند الله ، ومن أجل ذلك لن تجد أثراً من أمثال هذا التقييد الاجتماعي في عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين المهديين .

٤ ـ ومن حق كل فرد في هذا المجتمع سواء كان ذكراً أو أنثى ـ إذا كان عاقلاً بالغاً ـ أن يكون له رأي في مصير الدولة لأنه منعم عليه بنصيبه من الخلافة العمومية ، ولم يخص الله تلك الخلافة بشروط خاصة من الكفاءة والثروة ، بل هي مشروطة بالإيمان والعمل الصالح فحسب ، فالمسلمون سواسية في حق التصويت وإبداء الرأي .

التوافق بين الفردية والاجتماعية

هذه نبذة مما يوجد في الإسلام من مزايا الديموقراطية الصالحة ،

وبجانب آخر قد سد الاسلام باب الفردية (Individualism) الهدامة للاجتماعية (Socialism) فلا تضيع في نظام الاسلام شخصية الفرد كما تضيع في نظامي الشيوعية والفاشية ، وكذلك لا يتعدى الفرد في الاسلام حدوده بحيث يكون ضاراً للجماعة كما هو شأنه في نظام الديموقراطية الغربية . وإن غاية حياة الفرد في الاسلام إنما هي غاية الجماعة بعينها ؛ أي تنفيذ القانون الإلهي في الدنيا وابتغاء وجهه تعالى في الآخرة. وزد على ذلك أن الاسلام قد منح الفرد ما كان يتعلق بذاته من الحقوق ، وكذلك فرض عليه واجبات مخصوصة للجماعة ، وبهذه الصورة ظهر بين الفردية والاجتماعية في الاسلام توافق (Harmony) غريب بحيث يتيسر للفرد نماء قوته وارتقاء شخصيته ، ثم يصبح عوناً بقوته الراقية فيما فيه خير وسعادة للمجتمع . وهذا موضوع مستقل لا يسعني في هذا الموقف استيفاء حقه من البيان ، وإنما أردت مما أشرت إليه آنفاً أن أسد باب سوء التفاهم الذي يمكن للقارىء أن يقع فيه مما جئت به من شرح للديموقراطية الاسلامية في الفصل المتقدم .

الدولة الاسلامية وما يتألف عنها :

إذا تأملت بعض ما تقدم لي بيـــانه فيما سبق من تصور

(Conception) الخلافةالعمومية والاحاطة بفروعه وتفاصله، تبين لك أنمنزلةالامام أو الأمير أو الرئيس في الدولةالاسلامية ليست بأكثر ولا أقل من أن جمهور المسلمين ـ الخلفـاء ـ قد اختاروا عن أنفسهم رجلًا هو أفضلهم وأتقاهم، وأودعوه مابيدهم من أمانةالخلافة،وأما تسميته بالخليفة فليس معناه أنه هوالخليفة وحده ، بل معناه أن خلافة المسلمين العمومية أصبحت مركزة في ذاته .

وها أنا مفض إليكم بشيء من التفاصيل عن الحكم الاسلامي ولو على وجه الإجمال ، لتتجلى لكم منه صورة واضحة وبيد الله التوفيق :

أولاً: إن انتخاب الامير لا يكون إلا على أساس الآية الشريفة :

« إنَّ أكرمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتقاكُم» (الحجرات : ١٣)

أي لا ينتخب للامارة إلا من كان المسلمون يثقون به وبسيرته وبطباعه وخلقه، فإذا انتخبوه فهو ولي الامر المطاع في حكمه ولا

يعصى له أمر ولا نهي ، ويعتمد عليه في تنفيذ الأوامر اعتماداً كاملًا ، مادام يتبع الشريعة ويحكم بالكتاب والسنة .

ثانياً : الامير الاسلامي ليس له فضل على جمهور المسلمين في القانون ، وإنما هو رجل من الرجال ، يوجه إليه النقد فيما يتراءى للعامة من الاخطاء في سياسته الناس، والزلات في حياته الذاتية فهو يعزل إذا شاءت الامة ، وترفع عليه القضايا في المحاكم ، ولا يستحق أن يعامل فيها معاملة يمتاز بها عن غيره من المسلمين.

ثالثاً : الامير محتوم عليه المشاورة في الامر .ومجلس الشورى لابد أن يكون حائزاً ثقة جميع المسلمين ، وليس من المحظور الشرعي أن ينتخب هذا المجلس بأصوات (Voices) المسلمين وآرائهم ، وإن لم يكن له نظير في عهد الخلافة الراشدة .

رابعاً : والامور تقضى في هذا المجلس بكثرة آراء أعضائه في عامة الاحوال ، إلا أن الاسلام لا يجعل كثرة العدد ميزاناً للحق والباطل :

«قُلْ لا يَسْتوِي الخبيثُ والطيِّبُ ولو أعْجَبَكَ كَثرَةُ الخبيث » (المائدة : ١٠٠)

فإنه من الممكن في نظر الاسلام أن يكون الرجل الفرد أصوب رأياً وأحد بصراً في مسألة من المسائل من سائر أعضاء المجلس ، فإن كان الامر كذلك ، فليس من الحق أن يرمى برأيه لانه لا يؤيده جمع غفير .

فالأمير له الحق أن يوافق الأقلية أو الأغلبية في رأيها ، وكذلك له أن يخالف أعضاء المجلس كلهم ويقضي برأيه ، ولكنه من الواجب على جمهور المسلمين أن يراقبوا الأمير وسيرته في رعيته مراقبة شديدة ، هل هو يتصرف في الأمور ويحكم فيها على تقوى من الله أم بهوى من نفسه ؟ فإن رأوه يتبع الهوى في عمله فلهم أن يعزلوه ويخلعوه عن منصبه .

خامساً : لا ينتخب للامارة أو لعضوية مجلس الشورى أو لأي منصب من مناصب المسئولية من يرشح نفسه لذلك أو يسعى فيه سعياً ما ، فإن النبي ﷺ قال : « إنا والله لا نولي هذا العمل أحداً سأله أو حرص عليه » .

ومن المؤكد أنه ليس في المجتمع الإسلامي محل للترشح « Candidature » للمناصب والدعايات الانتخابية أصلاً ، ومما يمجه

الذوق الاسلامي وتأباه العقلية الاسلامية ، أن يقوم لمنصب واحد اثنان أو ثلاثة أو أربعة من طلابه ، فينشر كل واحد منهم خلاف الآخر من نشرات تبكي لها المروءة ويندى لها جبين الشرف الاسلامي ، ويعقدون حفلات لمدح أنفسهم والطعن فيمن سواهم ويستخدمون الصحف والجرائد للدعـــاية ، ويغرون أصحاب الأصوات بأنواع من الحيل المخجلة، ويطمعونهم في المال وتجري سياراتهم ليل نهار لتسفية الناس ، ثم ينجح منهم من كان أكثرهم كذباً وميناً ، وأدهاهم تلفيقاً وتزويراً ، ومن كان أشدهم إسرافاً للمال . فهذه طرق ملعونة للديموقراطية الشيطانية ، لو وجد من فعل عشر معشارها في الدولة الاسلامية لرفع أمره إلى المحكمة وعوقب عليها عقاباً شديداً ، فضلاً عن أن ينتخب عضواً لمجلس شورى الخلافة .

سادساً : وفي مجلس الشورى الاسلامي لا يمكن أن ينقسم أعضاؤه جماعات وأحزاباً ، بل يبدي كل واحد منهم رأيه بالحق بصفته الفردية ، فإن الاسلام يـــأبى أن يتحزب أهل المشورة ويكونوا مع أحزابهم سواء كانت على حق أو على باطل ، بل الذي يقتضيه الروح الاسلامي أن يدوروا مع الحق حيثما كان

لايحيدوا عنه قيد شعرة أبداً ، فإن وجدوا اليوم رأي واحد منهم حقاًوصواباً فليكونوا معه ، وإن وجدوا رأي ذلك الرجل نفسه في مسألة أخرى في الغد خلافاً للحق فليعارضوه .

سابعاً : إن مجالس القضاء والحكم في الاسلام خارجة عن حدود الهيئات التنفيذية تماماً ، لأن القاضي من وظيفته تنفيذ القانون الإلهي في عباد الله ، فلا يتولى الحكم في مناصب القضاء نائباً عن الخليفة بل عن الله عز وجل ، فليس الخليفة في مجلسه إلا كرجل من الرجال ، وليس لأحد أن يستثنى من الحضور في مجلس الحكم لأجل شرفه أو شرف أسرته أو لأجل ما عهد إليه من المناصب الرفيعة ، وإن الرجل وإن كان أجيراً أو فلاحاً أو فقيراً معدماً له أن يرفع القضية إلى مجلس الحكم على العلية من الناس حتى على أمير المؤمنين نفسه ،وللقاضي أن يحكم بالحق ويجري قانون الشرع على الخليفة إذا تحققت القضية عليه كما يحكم على رجل من عامة المسلمين وكذلك إذا كان الخليفة يشكو من أحد شكوى تتعلق بذاته ، فليس له أن يطفيء غليل نفسه ممن يشكوه بما عنده من القوة والسلطة التنفيذية ، بل هو مضطر من جهة الشرع أن يرفع قضيته الى المحكمة كعامة المسلمين .

خاتمة

هذا ولا يمكنني في هذه المحاضرة الموجزة أن أرخي عنان الكلام في خصائص الدولة الاسلامية وتفاصيلها من نواحيها المتشعبة، فإن روحها ومنهاج الحكم في دائرة نفوذها لا يمكن التفطن إلى دقائقها إلا بعد الاطلاع على مثل من مجريات الدولة الاسلامية في عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين .

ومن دواعي الأسف أن ضيق الوقت[1] يعوقني عن الاطالة ويحملني على طرق باب الاختصار ، وبالجملة فإني أرى أن ما بينته فيما تقدم فيه كفاية لاستجلاء صورة واضحة لطراز الدولة الإسلامية ومنهاجها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) أصل الرسالة محاضرة كما جاء في مقدمة الترجمة .

الفهرس

منشوراتنا

من مؤلفات الأستاذ المودودي

آ – الرسائل :

نظرية الإسلام السياسية
منهاج الانقلاب الاسلامي
القانون الاسلامي وطرق تنفيذه
تدوين الدستور الإسلامي
حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية
نظام الحياة في الاسلام
الأسس الأخلاقية للحركة الاسلامية
شهادة الحق
الدين القيم
الإسلام والجاهلية
الجهاد في سبيل الله

منشوراتنا

من مؤلفات الأستاذ المودودي

ب — الكتب

الربا

الحجاب

تفسير سورة النور

نظرية الاسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور

نحن والحضارة الغربية

نحن والحضارة الغربية

موجز تاريخ تجديد الدين

حركة تحديد النسل

هؤلاء المؤذنون اليوم ، ينادون من مآذنهم بأعلى أصواتهم خمس مرات في اليوم والليلة : « أشهد أن لا إله إلا الله » .

وأنت ترى أن الناس على اختلاف أجناسهم يسمعون هذا النداء ، ولا تقض مضاجعهم لسماعه . . ذلك لأنه لا الداعي يعرف : إلام يدعو الناس ؟ ولا الناس يتفطنون إلى ما تضمه الكلمة بين جنبيها من دعوة سامية وغاية خليلة .

ولو أن الدنيا علمت ما يشتمل عليه هذا النداء من غاية بعيدة المدى ، وأن المنادي ينادي بعزم وإصرار ، لأنقلبت الأرض غير الأرض ، ولتنكرت الوجوه .

من كتاب
منهاج الانقلاب الاسلامي
للمؤلف